منهجية تحقيق تراث المغرب الإسلامي المخطوط عند ليفي بروفنسال
كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب انموذجا"

أ/ حساين عبد الكريم – قسم التاريخ –كلية الآداب و العلوم الإنسانية – جامعة سيدي بلعباس

الملخص باللغة العربية:

تحاول هذه الدراسة التطرق إلى المدرسة الإستشراقية السباقة ودورها في الكشف في تراث المغرب الإسلامي، و رغم الانتقادات الكثيرة التي ظلت موجهة إليها، فقد كان لهذه المدرسة الدور الفعال في نفض الغبار عن هذا التراث. و هو ماجعل الباحثين في الحقل التاريخي يستفيدون الكثير من هذا التراث المحقق في إنجاز بحوثهم و دراستهم.

و على الرغم من أن المدرسة الإستشراقية قد تمكنت من اسداء خدمات جليلة في هذا الجانب، إلا أن ذلك لم يمنعهم من الجروج عن الموضوعية التاريخية، فشوهوا الكثير من الحقائق أثناء التحقيق و ألصقوا تهما باطلة به، وهو ماجعل الكثير منهم يبتعدون عن القواعد و المبادئ الأولية للمنهج العلمي في التحقيق ، من أمثال دوزي و غيرهم من المستشرقين و قد أثرنا نحن في هذا المقال اختيار كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب للمستشرق "ليفي بروفنسال" كنموذج لغياب أسس و قواعد التحقيق العلمي الرصين والسكوت عن الكثير من القضايا دون مناقشتها بموضوعية.

الكلمات المفتاحية: ليفي بروفنسال– المستشرقين– تحقيق المخطوط– المغرب الإسلامي.

Abstract.

No one could argue that the school Orientalist outlook was the first to digging in the heritage of Islamic Maghreb and the unmasking of some of its features, and that despite the many criticisms that have been addressed to it, has contributed to the school Orientalist outlook effective contribution in the dusting off the heritage of Islamic Maghreb. And therefore provided researchers in the historic field very important information, which enabled them to accomplish their research and studies. And whether the school Orientalist outlook had advised the good service to dust this heritage dissemination, it could not in any way be overlooked the speech ambushes orientalist, some orientalists who have reputations and their fame like Dosi, Miranda, was fully aware of the inherent their hatred of the Arabs and Muslims, and leaving the historic substantive, which sometimes lead to a distortion of the landmarks of the heritage of the Islamic Maghreb and false charges and before this quantity of European Studies, which dealt with this heritage were and an investigation, the researcher found himself before a real dilemma, perhaps including absence of the initial principles scientific curriculum in the investigation of these Orientalists, then the distortion of many of the issues contained in the manuscripts through condoned without discussion scientific vision Fair.

مقدمة:

لا أحد يجادل في أن المدرسة الإستشراقية كانت سباقة إلى الحفر في تراث المغرب الإسلامي، و إماطة اللثام عن بعض معالمه، و ذلك بالرغم من الإنتقادات الكثيرة التي ظلت موجهة إليها، لقد ساهمت المدرسة الإستشراقية مساهمة فعالة في نفض الغبار عن تراث المغرب الإسلامي. و بالتالي وفرت للباحثين في الحقل التاريخي معلومات في غاية الأهمية، مكّنتهم من إنجاز بحوثهم و دراستهم.[1]

و إذا كانت المدرسة الإستشراقية قد أسدت خدمة طيبة لنفض الغبار عن هذا التراث ونشره، فإنه لا يمكن بأي حال من الأحوال إغفال كمائن الخطاب الإستشراقي، فالدارس لبعض المستشرقين الذين لهم سمعتهم و شهرتهم من أمثال دوزي،[2] و أشباخ،[3] و ميراندا، يدرك تمام الإدراك كراهيتهم المتأصلة للعرب و المسلمين، و خروجهم عن الموضوعية التاريخية، [4] الأمر الذي يؤدي في بعض الأحيان إلى تشويه معالم تراث المغرب الإسلامي و إلفاق تهما باطلة به، و أمام هذا الكم من الدراسات الأوروبية التي تعاملت مع هذا التراث تأليفا و تحقيقا، يجد الباحث نفسه أمام معضلة حقيقية لعل من بينها غياب المبادئ الأولية للمنهج العلمي في التحقيق عند هؤلاء المستشرقين، ثم تحريف الكثير من القضايا التي وردت في المخطوطات عن طريق السكوت عنها دون مناقشتها برؤية علمية نزيهة.[5]

و للوقوف على ذلك، يسعى هذا البحث إلى تبني نموذج تحقيق الأستاذ ليقي بروفنسال للجزء الأول من كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب لمؤلفه ابن عذاري أحمد بن محمد المراكشي، فمن خلال هذا النموذج سنحاول الوقوف على منهجية الأستاذ في التحقيق، أو بكلمة أخرى الطريقة التي اتبعها الأستاذ ليقي بروفنسال في تحقيق هذا الكتاب.

لا بد من التنويه منذ البداية بهذا الكتاب، حيث يهتم ابن عذاري فيه بأخبار المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سنة 478هـ فيما يتعلق بأخبار الأندلس، و فيما يتعلق بأخبار المغرب حتى سنة 667هـ.

نشر المستشرق دوزي الجزء الأول و الجزء الثاني محققين بين عامي 1848 و1851، ثم نشر الأستاذ ليقي بروفنسال الجزء الثالث من الكتاب عام 1930، ثم أعاد المستشرق دي كولان (Colin) و ليفي بروفنسال نشر الجزء الأول و الجزء الثاني عام 1948، ثم نشر الكتاب في أربعة أجزاء في دار الثقافة بيروت سنة 1967. و كان الجزءان الأول و الثاني مصورين عن طبعة دوزي، و الثالث كان مصورا عن طبعة ليفي بروفنسال، و الرابع بتحقيق احسان عباس، و لم يذكر في هذه الطبعة الجزء الذي نشره المستشرق ميراندا و سماه القسم الثالث، ثم ظهر "البيان المغرب" (قسم الموحدين) بتحقيق جماعة من الباحثين في بيروت سنة 1406هـ/1985م.

و لا مراء في أن الأستاذ ليفي بروفنسال – محقق الجزء الأول من كتاب "البيان المغرب" – أمضى سنوات طويلة منكبا على دراسة تراث المغرب الإسلامي تأليفا وتحقيقا، استحق أن يحتل مكانة خاصة على خريطة المتخصصين في تاريخ المغرب الإسلامي [6] فلا يمكن للباحث في التاريخ إنكار جهوده في نشر عدد هام من ذخائر الفكر المغربي ككتاب **المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا الحسن** لإبن مرزوق، نشره في باريس عام 1925م، و **أخبار المهدي بن تومرت و بداية دولة الموحدين** مع **نبذ من مختصر كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب المعروف بالمقتبس** لمؤلفه أبي بكر علي الصنهاجي المكنى بالبيدق، و قد نشره ليفي بروفنسال في باريس عام 1928م، و للوقوف على مدى نجاح المحقق في إلتزام القواعد العلمية في التحقيق، و

إتباع الضوابط العلمية في منهجيته، سأورد نموذج لأعماله، يتعلق الأمر بالجزء الأول من كتاب البيان المغرب الذي نشره عام 1930م.

يجب أن نبرز في البداية أن ليفي بروفنسال رغم علو كعبه في حقل تاريخ المغرب الإسلامي، إلاّ أنه لم يتعمق كثيرا في دراسة المصادر التاريخية التي حققها. إذ أن هذه المصادر غير محققة بالكيفية التي تتطلبها قواعد التحقيق، فأعماله تبقى مجرد نشر فقط، وفي الآن نفسه، يستنتج كل متفحص لعمل ليفي بروفنسال أنه اصطدم بمشكل اللغة العربية، فهو و إن كان قادرا على قراءتها و فهمها، فإنه لم يكن مؤهلا لإستيعابها،[7] لذلك جاء تحقيقه للكتاب (البيان ج1) مليئا بالأخطاء اللغوية و هو ما سنبيّنه لاحقا.

إن إلقاء نظرة فاحصة للكتاب الذي حققه تجعلنا نلاحظ ما يلي :

- لم يورد المحقق سيرة ابن عذارى أحمد بن محمد المراكشي مؤلف الكتاب و ثقافته وهي من مستلزمات قواعد التحقيق. كما لم يتعرض إلى عصره، فمن المتفق عليه عند مدارس التحقيق أن يخصص المحقق فصلا تمهيديا بتعرض فيه إلى التعريف بالمؤلف، و المعارف التي تلقاها، و بالمناصب التي شغلها، و بأساتذته الذين أخذ عليهم، كما يتمحور على البيئة التي عاش فيها صاحب المخطوط و مكانته داخلها، وكذلك المصادر التي ترجمت له،[8] و هي كلها أمور أغفلها ليفي بروفنسال رغم أهميتها في أي تحقيق، ناهيك عدم تعرضه للتعريف بالمخطوط المحقق، عنوانه، وصحة نسبه إلى مؤلفه، كما أهمل المحقق التعرض لمنهج المؤلف في تحقيقه من حيث دواعي تحقيق المخطوط، و المنهج الذي اتبعه فيه، و النسخ التي عاد إليها، والحاصل أن قارئ النص على هذه الصورة المبتورة لا يجد أجوبة شافية عن مثل هذه الإشكاليات التي لا يجوز إغفالها، ذلك أنها تقدم للقارئ معلومات هامة حول المخطوط و أهميته.

- رغم أن الحواشي تعطي قيمة علمية للبحث، إلاّ أن ليفي بروفنسال اكتفى في الحواشي التي ذيل بها المتن بتقنية لا تزيد عن مقارنة النسختين المعتمدين و ذكر ما تزيد أو تنقص إحداهما عن الأخرى، رمز للأولى بحرف A، و للثانية بحرف B فمثلا يكتب في الحواشي عند مقارنته للنسختين المعتمدتين (Manque dans A, blanc dans B) كما أنه لم يتعرض إلى المصادر و المراجع التي ساعدته في إنجاز عمله، و كذلك لم يقم بالتعريف بالشخصيات الواردة في نص المخطوط، و أسماء المدن، و المواقع، و كل ذلك يعتبر إخلال بالمنهج العلمي للتحقيق الذي يتطلب الصرامة في كذلك.[10]
- ما يلاحظ أيضا على المحقق أنه لم يقارن المخطوطين اللذين كانا بين يديه بمخطوط آخر كان موجود بالخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط تحت رقم 336. [11] فقد إعتمد هو على مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 200 في 232 ورقة و هي ناقصة و مخطوطة باريس و هي مبتورة من الأول و الآخر، و هو ما أثر شكل واضح في عمله التحقيقي فالمحقق النزيه مطالب بأن تجتمع له كل نسخ المخطوط لإستكمال عمله بهدف إخراج النص بطريقة علمية.[12]
- حينما تسقط كلمات أو حتى فقرة بكاملها في النسختين المعتمدين، فإن بروفنسال لا يستدرك ما سقط من كلمات بالإشارة إلى ذلك في الهامش و هذا يخالف قواعد التحقيق، فالمتعارف عليه في عملية تحقيق المخطوط أن المحقق مطالب باستنتاج ما سقط من كلمات بوضع هامش لها.
- ينقص كتاب البيان المغرب المحقق من قبل ليفي بروفنسال بعض الفهارس مثل فهرس أسماء الأعلام، و فهرس أسماء الأماكن، و فهرس الأشعار، التي يتضمنها الكتاب، فالفهارس تعتبر من المكملات في عملية التحقيق، فإذا كان المخطوط مثل الخزانة المقفلة، فالفهارس هي المفاتيح التي تجعل القارئ يستخرج من تلك الخزانة كنوزها، و

يستفيد منها إلى أقصى حدود الإفادة، [13] و بالتالي فلو وضع المحقق هذه الفهارس لزادت التحقيق دقة و ضبطا و تسهيلا للمطلع على الكتاب و ما يحتاجه من البحث بكل سهولة.

- من الأمور الملفتة للإنتباه في النص المحقق، أن الأستاذ ليفي بروفنسال لم يذكر في ختام عمله المصادر و المراجع التي اعتمد عليها أثناء عملية التحقيق، فالمحقق النزيه هو الذي يعتمد في عملية تحقيق النص على مجموعة من المصادر تساعده في إماطة اللثام عن الكثير من القضايا تمهيدا لتعديل ما يمكن تعديله أو إضافته إلى الفراغات الموجودة في النص الأصلي، [14] كما أن الإعتماد على المراجع يزيد من توسيع مدارك المحقق، و هذه كلها جوانب أهملها بروفنسال في عملية التحقيق رغم أهميتها العلمية.
- إن قارئ النص المحقق للأستاذ بروفنسال يلاحظ أنه جاء مليئا بالأخطاء سواء الأخطاء الإملائية و اللغوية أو الأخطاء العلمية، و قد أضر ذلك كثيرا بالتحقيق الذي يتطلب تجنب مثل هذه الأخطاء، و من بين الأخطاء في النص المحقق نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

- لم تزل الشيعة منذ مات علي بن أبي طالب (ص 134) "لم تزل الشيعة منذ أن مات علي بن أبي طالب."
- فلما توصل أبو عبد الله إلى مدينة رقادة (ص 163) "فلما وصل أبو عبد الله إلى مدينة رقادة".
- و دارت بين أبن أبي العيش و بين أبن أبي العافية "(ص 200) و دارت بين ابن أبي العيش و بين أبي العافية".

- و قد وقع الأستاذ بروفنسال في مزالق خطيرة أدت إلى تشويه بعض المعاني بسبب قراءة خاطئة للألفاظ، و نسوق في ذلك نموذجا واحدا: "ثم وصله الخبر أنه توجه إلى ناحية فاس **فبعد** ذلك رجع نصير الدولة إلى تيهرت وأشير" و اللفظة في الواقع هي

فعند ذلك وليس فبعد ذلك،[15] و الملاحظ أنه بإحلال اللفظة الأولى مكان الثانية يتغير المعنى، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور تحليلات خاطئة لأنها مقروءة خطأ. إن عمل المحقق النزيه يتطلب منه مراجعة النص عدة مرات حتى يبتعد عن التحريف في الألفاظ. و حتى و إن أورد المؤلف هذه الأخطاء و هي كثيرة الحدوث في النصوص الأصلية، وجب على المحقق تصحيحها في الحواشي لإعطاء القيمة العلمية للعمل الذي يقوم به.

- مما يلاحظ كذلك على تحقيق الأستاذ بروفنسال أنه لم يلتزم في مواضع إستعمال الفواصل و الإشارات، و كمثال على ذلك يضع علامة التعجب عند كلمة "**رحمه الله**" [16] "**بسم الله الرحمن الرحيم**" [17] الأمر الذي يطرح أكثر من علامة إستفهام خاصة أن علامات التعجب كما جرت الأعراف توضح في ختام الفكرة في حالة إذا كان صاحب النص يبدي إستغرابه من فكرة معينة. و بما أن المؤلف لم يضع هذه العلامات، فالمسؤولية كلها تقع على المحقق.
- من الملاحظ كذلك أن بروفنسال استخدم عبارة "**رضي الله عنه**" في شكلها المختزل (رضه)[18] و هذا يخالف قواعد التحقيق التي تتطلب ترك العبارة كما هي في النص فكتابتها بهذه الصورة في المتن يعتبر تشويها لعمل المؤلف.
- من الثغرات التي تحسب على ليفي بروفنسال في عملية التحقيق عدم إفادة القارئ المطلع على الرسم الحرفي الذي اعتمده في التحقيق، و الطريقة التي اعتمدها لتبديل ذلك الرسم، ذلك أن للنص حرمته و أمانته، كما أن المنهج الحديث يعنى في ضبط الرّسم عناية كبيرة أثناء عملية التحقيق.[19] و لعل غياب ذلك ساهم بقسط كبير في التنقيص من تحقيق كتاب "البيان المغرب" بشكل ظاهر للعيان.
- لم يسعى الأستاذ بروفنسال إلى بذل جهود من أجل معرفة أصحاب الأبيات الشعرية الواردة في التحقيق و هي كثيرة، إذ أن من الصرامة العلمية في هذه الحالة تقتضي من

المحقق أن يرجع كل نص نقله المؤلف و لم يحل إلى مصدره، إلى أصله ثم توثيقه، و هذا ما يعرف بضبط النص و تقويمه، و لدينا نماذج كثيرة من الأبيات الشعرية التي يجهل القارئ أسماء أصحابها.[20]

- يبقى أن نقول أن عمل بروفنسال يندرج في خانة **النشر**[21] و فقط، نظرا لعدم قيامه بتحقيق تراث لبلاد المغرب الإسلامي تحقيقا علميا، و هذا ينطبق على معظم التحقيقات الإستشراقية التي سارت في هذا الاتجاه، لذا فإن مهمة الباحثين والدارسين لهذا التراث أن تتجه إلى تطهير تراث المغرب الإسلامي بإعادة النظر فيما نشره هؤلاء، و لا يأتي ذلك إلاّ عن طريق إعادة تحقيق هذه الأعمال المنشورة للمستشرقين، تحقيقا علميا رصينا أو بتعبير الأستاذ محمود حمدي زقزوق[22]، "والواجب الإسلامي يقتضينا أن نعمل على تنقية هذا التراث العظيم و غربلته وإزالة الغيوم التي تحجب عنا إشراق شمسه.

الهوامش :

1- عبد القادر بوباية، المستشرقون و كتابة التاريخ الإسلامي، ليفي بروفنسال أنموذجا، مجلة عصور، العدد 2، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر ديسمبر 2002، ص 86.

2- يتضح ذلك من خلال الكثير من إنتاجاته ينظر على سبيل المثال تحامله على المرابطين، فقد جعل قدومهم إلى الأندلس نذيرا بإنقلاب بعيد المدى، فقد زالت دولة الحضارة، و قامت على أنقاضها الهمجية، **Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le moyen âge. Maisonneuve-leiden. J. Bill (3ème édition 1981) P.**

3- يذهب أشباح في كتابه تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين إلى أن دخول المغاربة إلى الأندلس كان سببا في إنهيار الثراء العظيم الذي عرفته الأندلس في عهد الدولة الأموية و ملوك الطوائف، ينظر : عصر المرابطين و الموحدين ج1، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر 1964، ص 434.

4- سلطاني الجيلالي، الحركة الثقافية و الفكرية في عصر المرابطين، مجلة الحضارة الإسلامية، عدد خاص بأعمال الملتقى الدولي حول المراكز الثقافية في المغرب الإسلامي، بقسم الحضارة الإسلامية وهران، ص 292.

5- ابراهيم القادري بوتشيش، إضاءات حول تراث الغربي الإسلامي و تاريخه الإقتصادي و الإجتماعي، دار الطليعة، بيروت ط1، مارس 2002، ص 9.

6- عبد القادر بوباية، المقال السابق، ص 93.

7- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 10.

8- عبد الحق زريوح، منهج تحقيق المخطوط، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد العاشر، مارس 2006، جامعة تلمسان، ص 192.

9- عبد السلام هارون، تحقيق النصوص و نشرها، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1977، ص ص 44 – 45.

10- فهمي سعد و طلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية و التطبيق، دراسة وتحقيق، دار عالم الكتب، بيروت لبنان، ط1، 1413هـ/1993م، ص 48.

11- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، المخطوط د336، الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط.

12- زريوح عبد الحق، المقال السابق، ص 189.

13- ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منهجية التاريخ، دار القصبة للنشر الجزائر 2000، ص 57.

14- ابراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 15.

15- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ج1 تحقيق ج.س. كولان و ليقي بروفنسال، دار الثقافة – بيروت لبنان ط3، 1983، ص 250.

16- نفسه، ص 81 – 164 – 248.

17- نفسه، ص 164.

18- نفسه، ص 134.

19- محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة الدراسات البيبلوغرافية رقم 1 ج2 (الفترة المعاصرة) مطبعة فضالة المحمدية 1989، ص 340.

20- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق ج1، ص 81 – 147.

21- ابراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 17، عبد القادر بوباية، المقال السابق، ص 94.

22- محمود حمدي زقزوق، الإستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار القلم للطباعة و النشر و التوزيع الكويت 1983، ص 149.